مجلة الرائد

العدد : ٢٠٥ الموافق في شعبان ١٤١٩ هجري ١ / ١٩٩٩ ميلادي

عنوان المقال : النجاة في مرجعية التوحيد	بقلم : متولي موسى

دار النقاش في نوادي اتخاذ القرار الاقتصادي والعسكري والسياسي حول دول المركز والدوائر المتحدة المركز في عالم ما بعد الحرب الباردة .. والنظام العالمي الجديد ومرجعيته .. وما هو موقع العالم الإسلامي في هذه الدوائر والنظام العالمي الجديد ؟

ويمكن تلخيص أهم ما تبلور من نتائج فيما عرضه كتاب " صدام الحضارات : إعادة صنع النظام العالمي " ، وأوراق مداخلات المؤتمر الدولي حول " صراع الحضارات أم حوار الثقافات " على النحو التالي :

أولاً : يقرر صامويل هنتنجتون في الفصل السابع من كتابه " صدام الحضارات : إعادة صنع النظام العالمي " ما يلي :[١]

١. في هذا العالم ، دول المركز في الحضارات هي مصادر النظام ، وذلك في داخل الحضارات ثم بين الحضارات وبعضها عن طريق التفاوض مع دول المركز في كل منها . العالم الذي تلعب فيه دول المركز دوراً قيادياً أو مسيطراً هو عالم مناطق النفوذ ، ولكنه أيضاً عالم تضبط فيه دول المركز سياستها وتعدل من ممارستها لنفوذها عن طريق الثقافة التي تشترك فيها مع الدول الأعضاء في نفس الحضارة . العوامل الثقافية المشتركة تعطي شرعية للقيادة ولدور دولة المركز في فرض النظام ، بالنسبة لكل من الدول الأعضاء والقوى والمؤسسات الخارجية .

٢. عندما تفتقر الحضارات لدول مركز ، تصبح مشكلات إرساء النظام داخل الحضارات أو التفاوض عليه فيما بينها أكثر صعوبة ، فإن النظام العالمي الجديد القائم على الحضارات يقوم على عوامل رئيسية توجد حيث توجد دول المركز .

٣. الدول القائمة في العالم العربي تواجه مشاكل " الشرعية " لأنها في معظمها نتاج اعتباطي إن لم يكن نزوة للاستعمار ، وحدودها - غالباً - لا تتطابق مع حدود الجماعات الإثنية مثل البربر والأكراد . هذه الدول قسمت الأمة العربية ، ولكن من ناحية أخرى لم تقم دولة عربية واحدة تضم كل الأجزاء . هذا بالإضافة إلى أن فكرة سيادة الدولة القومية لا تتطابق مع فكرة السيادة (أو الحاكمية) لله وأولية مصالح الأمة .

٤. نهاية الإمبراطورية العثمانية تركت الإسلام دون دولة مركز . وتم تقسيم أراضيها بين قوى

غربية ، وعندما انسحبت تلك القوى خلفت وراءها دولاً مؤسسة على نموذج غربي ، بعيد كل البعد عن تقاليد وتراث الإسلام . وهكذا فإنه على مدى معظم القرن العشرين لم يكن لدى أية دولة إسلامية قوة كافية ، ولا ثقافة كافية ، ولا شرعية دينية للاضطلاع بهذا الدور لكي تصبح مقبولة من الدول الإسلامية والمجتمعات غير الإسلامية كزعيم للحضارة الإسلامية .

٥. إن غياب دولة مركز إسلامية عامل مساعد و أساسي على الصراعات الخارجية والداخلية المستمرة التي " تميز الإسلام " ، وعلى الوعي دون تماسك ، كما أنه مصدر ضعف بالنسبة للإسلام ومصدر تهديد للحضارات الأخرى ..

ثانياً : ويقرر البيان الختامي للمؤتمر الدولي حول " صراع الحضارات أم حوار الثقافات " الذي عقد في القاهرة من ١٠ إلى ١٢ آذار /مارس ١٩٩٧ ، بدعوة من منظمة تضامن الشعوب الإفريقية الأسيوية ما يلي : [٢]

١. **الحضارة والثقافة** : ظهرت في قضية صراع الحضارات وجهات نظر متعددة ومنها ما أكد على أن الحضارات محكوم عليها بالتصادم في ظل الطغيان، ومنها ما أشار إلى أن جوهر الصراع يكمن في المصالح الاقتصادية . وأن الحضارة الغربية حضارة عنصرية . والتأكيد على أنه يمكن لثقافة عظمى أن تهيمن على ثقافات صغرى عن طريق التعليم واللغة فتدمرها ، ولابد من وجود قوة فاعلة تصنع مجتمعها من خلال الاندماج في التيار العالمي للإبداع العلمي للإنسانية ، ومن أجل فلسفة تنويرية جديدة .

٢. **الحوار** : وظهر فيما يختص بالحوار رأيان :

الأول : يقول : بأهمية الحوار وضرورته للتعاون بين الحضارات والوصول إلى اللاصدام .

الثاني : يرفض تعبيري الحوار والصدام ، ويفضل عليهما التعبير الإسلامي ، كما يراه ، وهو التدافع .

وتم بحث العولمة والخصوصية من زوايا مختلفة :

- التحولات الكبرى في العالم ، نهاية الحرب الباردة وهيمنة القطب الواحد ، الثورة التكنولوجية ذات اتجاه واحد ، ازدياد تبعية العالم الثالث للبلاد التي مستعمرة لها في الماضي .
- الطرح الغربي للقضايا أصبح عنصريا وتزايد كراهية الغرب للأجانب والوقوف ضد الإسلام ، والخلط بين الإسلام والإرهاب .

- الفكر الإسلامي يعاني من أزمات ثلاثة : أزمة هوية ، وأزمة شرعية ، وأزمة مرجعية .
- القارة الأفريقية والوطن العربي وكل البلاد الإسلامية تقريبا تعتبر مناطق مهمشة تتأثر بالعولمة ولا تؤثر فيها .
- فرض الإصلاح الهيكلي يجري باللجوء إلى مزيد من القهر .
- يجب مقاومة الهيمنة الأمريكية بتحالف القوى المناهضة لها وتنشيط المؤسسات الدولية ، والوصول إلى مبادرات إقليمية .

٣. **العالم العربي والإسلامي** : ردا على هنتنجتون ، فإن الصراع ليس صراعاً بين يهودية ومسيحية من جهة ، وإسلام من جهة أخرى . إن الغرب قد اضطهد يهود أوروبا ، وكون هوية وصلت في النهاية إلى نفي هوية الآخر ، ويبدو الصراع كأنه صراع هويات أو اعتداء على الهوية .

إن الصراع مع " إسرائيل " ليس صراعاً ثقافياً لكنه صراع وجود ، ولابد من الوصول إلى حل " ديمقراطي " غير عنصري للقضية الفلسطينية .

أن هناك عوائق للنهوض العربي : عائق عدم اندماج الدولة مع المجتمع ، عائق الدولة الأمنية ، العائق الخارجي الإمبريالي " الإسرائيلي " .

ولمواجهة ذلك ، هناك ضرورة إقامة حوار جدي بين التيارات المختلفة ، عربي عربي ، قبل التوجه إلى الخارج ، لصياغة مبادرة حقيقية لفكر ما بعد الحداثة . لا بد من مراجعة طبيعية العلاقات فيما بين العرب كي يزيدوا من وزنهم وفاعليتهم ، كما لابد أيضاً من ارساء قواعد عقد اجتماعي جديد داخل الوطن . كما أن هنالك ضرورة للوقوف موقفاً إيجابياً من مسألة حقوق الانسان في الوطن العربي لخلق إنسان قادر على القيام بحوار منطلق من الثقة بالنفس .

ثالثاً : ملاحظات ونداء :

١. هنالك ملاحظات على النتائج التي توصل إليها النقاش الدائر حول هذه القضايا الهامة في حياة ومستقبل العرب والمسلمين ، نوجزها فيما يلي :

- لم يتمكن المتحاورون من تجاوز قضية الهوية ومكانتها في حياة الشعوب والأمم ، ودور الثقافة الإسلامية ومكانتها في تكوين الهوية . ولكن الجميع عند البحث عن حلول ، سعى إلى إبعاد الإسلام إما بوصفه بالإرهاب ، أوعدم الإشارة إليه كما هو الحال في الفقرة الثالثة لمؤتمر القاهرة في البيان الختامي ، فقد كان نصيب الإسلام أن يذكر في عنوان الفقرة " العالم العربي والإسلامي " ، وهذا لا

يبشر بحلول مستقبلية لقضايا البلاد العربية والإسلامية .

• أما آن للبلاد العربية والإسلامية -شعوباً وحكاماً - أن تدرك أنها رغم ما حل بها تملك طاقات وإمكانات مادية وبشرية وجغرافية تمكنها ، لو انحازت إلى عقيدة التوحيد وأخذت بأسباب التغيير ، أن تحتل مركزاً مرموقاً في المستقبل ؟!

• لو أنصف الغرب والأنظمة الحاكمة في بلاد العرب والمسلمين لعملوا على التفاهم والتعاون لصالح الإنسان من حيث هو إنسان { **ولقد كرمنا بني آدم** } وذلك برسم خطوات المستقبل ، التي تساعد البلاد الفقيرة على النهوض من أوضاعها المزرية ، والبلاد الغنية أن تنعم بالأمن والسلام .

• لا يمكن أن يتحقق الأمن والسلام إلا إذا كانت الشعوب قادرة على اختيار هويتها ، وتقرير مصيرها ، وتحديد مستقبلها دون قهر أو سيطرة أو فرض أمر واقع أو حرمان . والشعارات التي ترفعها الدول المتنفذة أنها تضمن أمن البلاد الضعيفة والفقيرة ثبت أنها شعارات عارية عن الحقيقة . ويكفي أن يتابع الإنسان ما حدث في الجزائر والصومال والشيشان والبوسنة والهرسك وما يحدث في كوسوفا وفلسطين .. حتى تظهر له هذه الحقيقة الزائفة الشعار بكل جلاء .

٢. **أما النداء** : فأتوجه به إلى كل مظلوم بصفة عامة ، والمسلمين بصفة خاصة فأقول :

• إن الاستسلام لهذا الواقع الظالم غير مقبول عقلاً ، كما يقول الاستاذ عصام العطار : " إن الاستسلام إلى الواقع الراهن موت وخزي في الدنيا والآخرة، وخيانة لعقيدتنا وأمتنا وإنسانيتنا ورسالتنا العظيمة إلى العالم .. ومعاذ الله أن نقبل هذا الموت والخزي وأن نكون من الخائنين[٣] .

• اعتقاد أن دوام هذا الحال من المحال ، فقد دلت السنن الكونية والتجارب البشرية على عدم استمرار أوضاع المجتمعات على وتيرة واحدة لفترات طويلة ، وعليه فإن المسلمين إذا ملكوا حريتهم في تحديد هويتهم ، وأعطي العلماء الحق لتعبئة الأمة وفق منهج الإسلام ، واتخذت الأسباب ، فإن مخطط الأعداء سينهار ، وسيتحقق للأمة الإسلامية ما وعدها الله تعالى به ، فقد قال الله تعالى : { **ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز** } [الحج : ٤٠] وقال سبحانه: { **وتلك الأيام نداولها بين الناس** } [آل عمران : ١٤٠] .

• حالة الغياب التاريخي للأمة الإسلامية لا يمكن أن تستمر ، إذ سيتولد عن استمرارها فقدان الوجود وتحقق التشتت والضياع كما أن هذا الغياب يمكن أن تقصر مدته إذا أدرك القادة والساسة ومن في موقع المسؤولية هذه الحقيقة ، وأخذوا بأسباب الشهود الحضاري . فقد دلت التجارب التاريخية على

أن حالات الغياب التاريخي - عادة - التي تعقبها عودة الشهود الحضاري تكون الأوضاع فيها بعد العودة أفضل ... والشهود الحضاري يبدأ بوعي الذات وعدم انتظار الحلول من الخارج ، وفهم سنن التغيير والأخذ بها ، قال تعالى :

{ **إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم** } [الرعد : ١١]

● إذا كانت التنمية الاقتصادية شرطاً أساسياً للوجود الفاعل في العالم المعاصر ، فلابد للبلاد الإسلامية ، والعربية منها خاصة ، من الأخذ بجدية بأسباب النمو الاقتصادي ، إذ أن البلاد الإسلامية مجتمعة تحتل نصيباً من التجارة العالمية يصل إلى ٣% ، بالرغم من امتلاكها لموارد اقتصادية ضخمة ، والقفزة الاقتصادية تحتاج إلى إخلاص واتحاد ، ولجان عمل متخصصة ، وورش تنفيذ للمخططات ، والتوافق مع مقتضيات العصر وتغيرات الزمن ، دون التخلي عن الثوابت الإيمانية أو الانسلاخ من الهوية الإسلامية . وذلك يستلزم تطوير مناهج التربية والتعليم وإنشاء مؤسسات البحث والانفتاح على التقنية .

الهوامش:

(١) صدام الحضارات : إعادة صنع النظام العالمي ، صامويل هنتنجون ، الفصل السابع من الكتاب.

(٢) صراع الحضارات أم حوار الثقافات ؟ ، أوراق ومداخلات المؤتمر الدولي حول صراع الحضارات أم حوار الثقافات ؟ ، القاهرة ، مطبوعات التضامن ، ١٩٩٨، البيان الختامي .

(٣) أ. عصام العطار ، الرائد ، مجلة المستقبل الإسلامي ، بون ، ألمانيا ، ع ١٦٨ ، ص :٥١ .